مجلة الحكمة للدراسات التاريخية
Eissn :2600-6405 Issn : 2353-0472
المجلد 10 / العـدد:3 (2022)، ص: 32–49

الدراسات النقدية للتوراة اليهودية، ابن حزم الأندلسي أنموذجا

دة. بصال مالية [1]

[1]المركز الجامعي مرسلي عبد الله تيبازة (الجزائر)،

bessalmalia@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/09/05 تاريخ القبول: 2022/09/06 تاريخ النشر: 2022/09/20

ملخص:

يعتبر العهد القديم وثيقة مقدسة لدى اليهود والنصارى، وهي مرجعهم في التاريخ والأحكام والأخلاق التي -حسب زعمهم- وحيا من الله سبحانه وتعالى إلى النبي موسى عليه السلام ، وقد ظل فترة طويلة المصدر الوحيد للأحداث التاريخية التي مر بها الشرق القديم عامة وبلاد الشام خاصة؛ دون أن يجرؤ أحد على نقده لكونه كتابا مقدسا، ويعتبر ابن حزم الأندلسي (ت456 ه) أول من انتقد العهد القديم (التوراة) نقدا علميا سبق به علماء الغرب والمختصين، وبنقده للكتاب المقدس اعتبر بحق رائد الدراسات النقدية، ، وعليه فإشكالية المداخلة تمحور حول التساؤلات التالية: ماهي جهود ابن حزم الأندلسي في نقد العهد القديم؟ ماهي أسباب نقده للعهد القديم؟ وماهي النتائج التي خلص إليها من خلال نقده؟ وماهي اسهاماته في مجال نقد الأديان؟ عرف ابن حزم بنقده الشديد لمعاصريه من الفقهاء والمتكلمين، وهو جانب ألقى الستار على كثير من دراساته، والجانب الأهم الذي يستحق الدراسة هو جانب نقده لغير المسلمين ومن ذلك نقده لكتاب اليهود (العهد القديم) وأهم ما تميز به في هذا الجانب أنه صاحب جهد خاص، فكان يجلس إلى اليهود ويجادلهم ثم يرجع إلى كتبهم ويكشف ما فيها من تحريف، ويُظهر ما فيها من تبديل، ويدلل على التناقض فيها، كما كان صاحب جهد في بناء منهج الدراسة النقدية الموضوعية لأسفار الكتاب المقدس. ويأتي ابن حزم على

قمة العلماء المسلمين المؤسسين لنقد الكتاب المقدس (العهد القديم)، ويعد كتابه الفصل الملل والأهواء والنحل من أبرز الأعمال الإسلامية في تاريخ الأديان، ويعد الأساس المنهجي لعلم نقد الأديان. وانتهى من دراسته بنتائج قامت على أساسها مدراس نقدية في الغرب أهمها أن التوراة الحالية ليست هي التوراة التي أوحاها لله تعالى لموسى عليه السلام، وإنما كتبها عزرا لهم.

كلمات مفتاحية: ابن حزم ، العهد القديم، التوراة، التاريخ، الدين.

Abstract:

The intervention of Ibn Hazm in his critique of the Old Testament (the Torah), which no one dared to criticize as a sacred book, is the first to criticize the Old Testament in scientific criticism, preceded by Western scholars and specialists. The Old Testament is a book full of contradictions and superstitions and it has been subjected to centuries of distortion, distortion, deletion and addition. Modern criticism has proven to contradict biblical texts with historical, geographical and scientific facts. Which was proven by Ibn Hazm in the fourth century AH.

Keywords: Ibn Hazm, The Old Testament, Torah, History, Religion.

***المؤلف المرسل:** دة. بصال مالية

1. مقدمة

يعتبر العهد القديم (التوراة) وثيقة مقدسة لدى اليهود والنصارى، وهي مرجعهم في التاريخ والأحكام والأخلاق التي -حسب زعمهم- وحيا من الله سبحانه وتعالى إلى النبي موسى عليه السلام، وقد ظل فترة طويلة المصدر الوحيد للأحداث التاريخية التي مر بها الشرق القديم عامة وبلاد الشام خاصة؛ دون أن يجرؤ أحد على نقده لكونه كتابا مقدسا، ويعتبر ابن حزم الأندلسي (ت456 هـ) أول من

انتقد العهد القديم نقدا علميا سبق به علماء الغرب والمختصين، وبنقده للكتاب المقدس اعتبر بحق رائد الدراسات النقدية، وعليه فإشكالية المداخلة تمحور حول التساؤلات التالية: ما هي جهود ابن حزم الأندلسي في نقد العهد القديم وأسباب نقده للعهد القديم؟ وإسهاماته في مجال نقد الأديان؟

ونظرا لمكانة هذا العالم الذي أفنى عمره باحثا مؤلفا في شتى العلوم، والذي لم يحظ في حياته بالتكريم الذي يليق به، بل نال الاضطهاد، وذلك بسبب نقده الشديد لمعاصريه من الفقهاء والمتكلمين، وهو جانب ألقى الستار على كثير من دراساته، والجانب الأهم الذي يستحق الدراسة هو جانب نقده لغير المسلمين ومن ذلك نقده لكتاب اليهود المقدس، لذلك جاءت المداخلة بعنوان : الدراسات النقدية للتوراة اليهودية ابن حزم الأندلسي أنموذجا.

وقد احتوت الدراسة على العناصر التالية:

*- تعريف العهد القديم.

*- ابن حزم ودوره في علم الأديان.

*- دوافع نقد ابن حزم للعهد القديم.

*- جهود ابن حزم في نقد العهد القديم

*-منهج ابن حزم في نقد التوراة.

*-الجانب التطبيقي للمنهج.

*-النتائج.

2. تعريف العهد القديم: هو كتاب اليهود المقدس، الذي يظم ثلاثة أقسام رئيسية هي: أسفار موسى الخمسة، وأسفار الأنبياء والمكتوبات، وتسميته بالعهد القديم أو العهد العتيق هي تسمية مسيحية تميزا له عن العهد الجديد الإنجيل، أما التسمية اليهودية لكتاب العهد القديم فهي الكتاب العبري(Hebreu Bible) أو الكتاب(La Bible)، كما يعرف باسمه العبري "المقرا" بمعنى المقروء، كما

يعرف اختصارا بالتناخ، وهي اختصار للتسمية العبرية للتوراة ،الأنبياء والمكتوبات، وهي تتكون من الحروف الأولى لأسماء هذه الأقسام الثلاثة في اللغة العبرية[1]. والتوراة جزء من العهد القديم، وإن إطلاق اسم التوراة على جميع الأسفار من باب تسمية الجزء على الكل.

3. ابن حزم ودوره في علم الأديان: هو فيلسوف ومؤرخ ومتكلم وأديب لغوي منطقي، وفقيه أصولي مؤرخ وخبير بالملل والنحل، من المفكرين الموسوعيين، أعتبر أول مدقق وناقد لما ورد في العهد القديم، حيث درسه دراسة تحليلية نقدية[2].

يحتل ابن حزم مكانة متميزة لدى المهتمين بتاريخ الأديان، فالدراسات التي كتبت عنه، تكاد تُجمع على اعتباره من أكبر الرواد المسلمين في ميدان التاريخ النقدي للملل والنحل، وخاصة دراسته لليهودية والمسيحية، حيث قال فيه مؤرخ الأديان الفرنسي "لابوليه" في كتابه "الدراسات المقارنة للأديان" أن ابن حزم هو رائد الفكر الإنساني كله لهذا النوع من البحوث.

وقد أقر العلماء بفضل ابن حزم وأضافوا إليه هالة من التقدير، كما أدركوا قيمة كتابه لاسيما عند علماء الغرب، رغم ما يتضمنه من نقد وتفنيد قد يمس عقائدهم من بعيد أو من قريب، حيث يقول المستشرق جيوم: «أن باحثا مثابرا كابن حزم القرطبي قد استطاع أن يشحذ قواه ليؤلف أول موسوعة دينية، وليكتب أول دراسة على مستوى عالي من النقد والترابط حول العهدين القديم والجديد». وأما فليب حتي فيذكر أن أنفس كُتب ابن حزم الباقية إلى الآن

[1] محمد خليفة حسن أحمد، **مدخل إلى نقد أسفار العهد القديم**، القاهرة(مصر)، ص9.

[2] سعد الله عبد السلام، **نقد النص الديني بين الفيلسوفين ابن حزم واسبنوزا**، أستاذ بجامعة الجلفة، ص2.

وأفيدها، هو كتاب الفصل في الملل، الذي يؤهل مؤلفه لاحتلال الصدارة الأولية بين العلماء الذين عنوا بدراسة تاريخ الأديان[3].

4. دوافع نقد ابن حزم للتوراة:

ونظرا لتنوع مادة العهد القديم فقد جذب العهد القديم اهتمام علماء الدين والمؤرخين والأدباء والنقاد، وتطورت اتجاهات نقدية غطت كل مجالات العهد القديم، وأهمها المجالات الدينية والتاريخية والأدبية، فقد كان للمسلمين السبق في إخضاع نصوص العهد القديم للتحليل العلمي والنقد الديني والتاريخي والأدبي وفي مقدمتهم ابن حزم[4].

لعل من أهم الأسباب التي دفعت ابن حزم إلى محاولة فهم التوراة فهما علميا نقديا وتحليليا، راجع دون شك إلى تأثره بالمبدأ القرآني القائل أن بني إسرائيل تلاعبوا بكتابهم المقدس، وأنهم حذفوا ما حذفوا، وحرفوا ما حرفوا، مضيفين إليه ما أضافوا لطمع أخلاقي في نفوسهم[5]. لقوله تعالى: ﴿**وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ** ﴾[6] وقوله تعالى أيضا: ﴿**وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾[7]. فقد نبع اهتمام ابن حزم لنقد النص الديني مما ورد في القرآن والحديث من نقد لليهود بكونهم قاموا بتحريف الكتب المقدسة التوراة والإنجيل.

أما السبب الآخر هو إتقانه لعلم الجرح والتعديل، الذي يهتم بنقد وتمحيص سند ومتن الحديث النبوي الشريف، خاصة أن لهذا العلم مكانة في نفوس علماء الإسلام، وتصديهم لأهل البدع والضلال، ممن كانوا ينتحلون

---

[3] محمود حماية، **ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان**، دار المعارف، القاهرة(مصر)، ط1، 1983، ص 7.

[4] محمد خليفة حسن، المرجع السابق، ص10.

[5] الفاروقي، **أصول الصهيونية في الدين اليهودي**، مكتبة وهبة ، القاهرة(مصر)، ط2، 1988 ، ص185.

[6] **سورة البقرة**، الآية 75.

[7] **سورة آل عمران**، الآية 78.

الحديث لنصرة مذاهبهم ومعتقداتهم، فتصدى لهم هؤلاء العلماء ووضعوا قواعد لنقد الحديث النبوي[8]. وهو المنهج الذي استعمله ابن حزم في نقد التوراة كما سنرى لاحقا.

5. جهود ابن حزم في نقد التوراة:

بدأت الحركة النقدية للعهد القديم على أيدي علماء الإسلام الأوائل، ولعل أكثرهم اهتماما بهذا الشأن الإمام ابن حزم الأندلسي الذي أُعترف له بجهوده في نقد العهد القديم، بعد أن كانت مرفوضة لدى اليهود، وصارت تعد نتائج دقيقة ومتماسكة وذات معنى تقوم على رؤية مقارنة واضحة المعالم، وقد أشاد بمجهوده "برنارد دولابولي" وعده رائد مقارنة الأديان في الفكر الإنساني كله، ونموذجا من التجرد عن الهوى والميول الشخصية.

احتلت الديانة اليهودية المرتبة الثانية من اهتمام ابن حزم بعد الديانة النصرانية، بسبب الظرف التاريخي والسياسي العام الذي مرت به الأندلس آنذاك، فاليهود لم يكن لهم دولة، ولم يبلغوا في يوم من الأيام خطورة الممالك النصرانية الزاحفة نحو الجنوب، إلا أن هذا لا يقلل من أهمية نقد ابن حزم لليهودية، إذا يظل نقده لديانتي أهل الكتاب، وبصفة خاصة نقده للكتاب المقدس بعهدين القديم والجديد في صدارة أعماله من حيث الأهمية[9].

وأهم ما تميز به في هذا الجانب أنه صاحب جهد خاص، فكان يجلس إلى اليهود ويجادلهم، ثم يرجع إلى كتبهم ويكشف ما فيها من تحريف، ويُظهر ما فيها من تبديل، ويدلل على التناقض فيها. فنقده للعهد القديم يرجع في الأغلب إلى

---

[88] ابن حزم الظاهري، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تحقيق محمد إبراهيم نصير وعبد الرحمن عميرة، دار الجليل، بيروت(لبنان)، ط2، 1996، ج1، ص 185.

[9] عدنان المقراني، **نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي**، المعهد العالي للفكر الإسلامي ، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 2008 ، ص179.

جهوده الشخصية، حيث كان صاحب جهد في بناء منهج الدراسة النقدية الموضوعية لأسفار الكتاب المقدس. وقد كان لابن حزم عند نقده للعهد القديم هدفين، يتصل أحدهما بالآخر اتصالا وثيقا:

- بيان أن التوراة التي بأيدي اليهود محرفة، وإظهار ما فيها من كذب وتناقض.
- إثبات أن الإسلام هو الدين الحقيقي الذي ينبغي التمسك به[10].

ولابد أن نشير إلى أن ابن حزم أعد نفسه جيدا لنقد التوراة الموجودة في أيدي يهود الأندلس في عصره، وكان مما قام به ما يلي:

- جمع ما أمكن من نسخ التوراة التي كانت مترجمة إلى العربية على عهده، وكذلك كتب الأنبياء الأخرى والشروح والتعليقات عليها. ولعل ما يثبت اطلاع ابن حزم على التوراة قوله: « إنما التوراة مقدار مائة ورقة وعشر أوراق في كل صفحة منها ثلاثة وعشرون سطرا»[11].

- الاطلاع الواسع والمتعمق في تاريخ اليهود السياسي والديني، مع الإلمام الكافي بجغرافية بلادهم.

- السعي إلى كثير من علماء اليهود لاستفسار عن معنى غامض أو مموه، والدخول مع بعضهم أحيانا في مناقشات شفوية[12].

لذلك جاءت نتائج جهوده دقيقة، واعتبر ابن حزم على قمة العلماء المسلمين المؤسسين لنقد الكتاب المقدس(العهد القديم)، ويعد كتابه الفصل الملل والأهواء والنحل من أبرز الأعمال الإسلامية في تاريخ الأديان، والأساس المنهجي لعلم نقد الأديان. حيث قالت حواء لزاروس يافه(Hawa lazarus yafeh): « لا

[10] حامد طاهر، المرجع السابق، ص 41.

[11] ابن حزم، الفصل، ج1، ص123.

[12] حامد طاهر، المرجع السابق، ص612.

شك أن النقد الذي خص به ابن حزم متن الكتاب المقدس يعد دراسة متكاملة لا مثيل لها في الكتب الإسلامية في القرون الوسطى»[13].

6. منهج ابن حزم في نقد التوراة:

اعتمد ابن حزم على منهج النقد التاريخي، الذي يعتمد على عناصر كثيرة مستمدة أساسا من منهج علماء الحديث، ويعتبر هذا المنهج نموذجا واضحا على تقدم المسلمين في مجال نقد النصوص القديمة، ومحاولة تمحيص الأخبار وتحليلها، وهو منهج تنفرد به الحضارة الإسلامية، كما صرح بذلك فؤاد سزكين بقوله: « فهذا جانب تنفرد به الحضارة الإسلامية، ولا نعرف له في الحضارات الأخرى شبها». وتعليل ذلك أن المسلمين أرادوا الحفاظ على مصادر الشريعة وصيانتها من التحريف، فأبدعت قرائحهم هذا المنهج. أي نقد المتن والسند، أو كما يحلو لبعض الدراسيين تسميته بمنهج النقد الداخلي والخارجي للوثيقة.

7. **الجانب التطبيقي للمنهج**: نقد ابن حزم الكتاب المقدس (العهد القديم) واعتمد في ذلك خطوات علمية، من أجل الوصول في النهاية إلى نتيجة محددة، وقد سلك ذلك في مسلكين هما:

7. 1. النقد الخارجي (السند): يتضمن نقد مصدر الوثيقة، وتاريخ انتقالها، وطريق وصولها إلينا، ولكي ينقد ابن حزم التوراة نقدا صحيحا، وضع عدة أسئلة، ثم اجتهد للإجابة عليها هي:

- ماذا كان حال التوراة قبل أن تدون؟
- إلى أي مدى انعكست حياة اليهود على التوراة في حالات الكفر وارتدادهم عن الإيمان؟
- عند من كانت تحفظ التوراة؟

[13] Hawa lazarus yafeh, **intertwined worlds, medieval Islam and bible criticism**, p135

- ما هي أحوال هؤلاء الحفظة؟

وهنا كان على ابن حزم لكي يجيب على هذه الأسئلة، أن يتتبع التاريخ السياسي والديني لليهود، حتى يبين المراحل التي مرت بها التوراة، حيث قام باستعراض حال تاريخ اليهود من أول دولتهم حتى وفاة موسى عليه السلام، إلى انقراض دولتهم، وإلى زمن رجوعهم إلى بيت المقدس، إلى غاية ما دونت التوراة على يد عزرا الوراق[14]، وهو تاريخ مستقى من كتبهم، ومتفق عليه من طرف علمائهم، دون خلاف من أحد منهم، وإن اختلفوا فيه أشار إليه ابن حزم.

وخلص ابن حزم عن طريق استعراض التاريخ الديني والسياسي لليهود، إلى أن نص التوراة الأصلي، الذي أنزله الله تعالى على موسى عليه السلام، قد تعرض من الناحيتين المكانية والزمانية، لظروف تجعلنا لا نثق به. وفيما يلي عرض أكثر تحديدا لأهم القواعد التي اعتمد عليها ابن حزم في النقد الخارجي للتوراة ومجيبا على الأسئلة التي طرحها:

أولا /على مدى التاريخ، اختلفت عليهم أحداث جسام، وتولى أمورهم ملوك بعضهم مؤمن، وأكثرهم كافر، أعلن الكفر، وعبادة الأوثان، ففي كتاب الملل والمحل ذكر ابن حزم أن اليهود منذ وفاة موسى عليه السلام، إلى ولاية أول ملك لهم، وقع لبني إسرائيل سبع رِدات، فارقوا فيها الإيمان، وأعلنوا عبادة الأوثان، فيما يلي بيان لتلك الردات:

الردة الأولى : دامت 8 سنوات.

الردة الثانية : دامت 18سنة.

---

[14] **عزرا**: (ق 5 ق م)، هو عزرا بن سرايا بن حلقيا بن شلوم بن صادوق من نسل هارون عليه السلام، وقد نسب إلى عزرا كتابة التوراة وتحريفها بعد ضياعها في أثناء السبي البابلي، وبعد ضياعها من صدور اليهود، وهو عزير المذكور في القرآن الكريم. لمزيد من التفصيل أنظر: أحمد بن عبد الله إبراهيم الزعيني، **العنصرية اليهودية و آثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها**، مكتبة العبيكات، 1998، ج1، ص 98، هامش2 .

الردة الثالثة : دامت 20سنة.

الردة الرابعة : دامت 7سنوات.

الردة الخامسة : دامت 3سنوات.

الردة السادسة : دامت 18 سنة.

الردة السابعة : دامت 40 سنة.

ثم في أثناء فترة الأسباط العشرة من بني إسرائيل، تراوح أمرهم بين الإيمان والكفر، وإن كان قد جرى معظم ملوكهم العشرين على إعلان الكفر، إلى أن أسر سليمان الأعسر ملك الموصل[15]، أخر ملوكهم وسبى بني إسرائيل وحملهم إلى بلاده، وأسكن في موضعهم من أهله[16].

والواقع أن ابن حزم هنا يقدم مزيدا من التفصيلات الدقيقة بغية الوصول إلى أن التوراة وقد مضى عليها كل هذا التاريخ المضطرب، المليء بسنوات الكفر والاضطهاد الديني للأنبياء، قد تعرضت للتبديل، والتحريف، والتغيير، والزيادة، والنقصان[17]. بل إنه يذكر أن اليهود مُقِرون بأن "يهوا حازبن يوشيا" الملك الداوودي، المالك لجميع بني إسرائيل بعد انقطاع ملوك سائر الأسباط: بشر (أي كشط) من التوراة أسماء الله تعالى، وألحق فيها أسماء الأوثان، وهم مُقرون أيضا أن أخاه الوالي بعد وهو "الياقيم بن يوشيا" أحرق التوراة بالجملة، وقطع أثرها[18].

وأخيرا، وقعت غارة نبخدنصر البابلي، وتم خراب بيت المقدس، وهو المكان الذي كانت تصان فيه التوراة، وكانت كتابة عزرا الوراق الهاروني للتوراة بعد

---

[15] **سليمان الأعسر**: هو سلماعاشر ملك أذربيجان وهو بالعربية سليمان الأعسر. لمزيد من التفصيل أنظر: الخطيب البغدادي، **تاريخ الأنبياء**، دراسة وتحقيق أسيا كليبان على البارح، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة جديدة، ص 294.

[16] حامد طاهر، المرجع السابق، ص 614.

[17] نفسه، ص 615.

[18] ابن حزم، الفصل، ج1، ص 184.

أزيد من سبعين سنة، من خراب بيت المقدس، أملاها عليهم من حِفظه، وهم مُقرون أنه وجدها عندهم، وفيها خلل كثير فأصلحه. ومن ذلك الوقت، انتشرت التوراة ونسخت، وظهرت ظهور ضعيفا أيضا، ولم تزل تتداولها الأيدي مع ذلك، ثم تولى أمرهم قوم من بنى هارون بعد مئتين من السنين، فحينئذ انتشرت نسخ التوراة التي بأيديهم اليوم[19].

ثانيا/ كانت فترات الكفر تتصل حتى تبلغ مائة وستين عاما متتالية فيسأل ابن حزم: فأي كتاب أو أي دين يبقى مع هذا؟ بالإضافة لقتلهم الأنبياء، فلم يكن باستطاعة أي نبي أن يدعوا الناس إلى التمسك بمبادئ التوراة الصحيحة. وحتى هذه التوراة قد تعرضت أحيانا للتحريف المتعمد، وفي أحيان أخرى لمحاولة إعدام كامل،فيقول ابن حزم : تأملوا! أي كتاب يبقي مع تمادي الكفر ورفض الإيمان هذه المُدد الطوال، في بلد صغير، مقدار ثلاثة أيام في مثلها، ليس على دينهم وأتباع كتابهم أحد على ظهر الأرض غيرهم.

ثالثا / من القواعد الهامة ، التي يسجلها ابن حزم، أن كل كتاب وشريعة كانا مقصورين على رجال من أهلها، وكانا محظورين على من سواهم، فالتبديل والتحريف مضمون فيهما. وكذلك التوراة إنما كانت طوال مدة بني إسرائيل عند الكاهن الأكبر الهاروني وحده[20] حيث بين ابن حزم أن التوراة لم تكن نسخها منتشرة في بني إسرائيل وليست متاحة للخاصة فضلا عن العامة، بل كانت هناك نسخة واحدة ووحيدة فقط، حيث ورد في سفر التثنيةأن التوراة لم تكن من أول دولتهم إلا عند الكاهن الهاروني الأكبر وحده في الهيكل[21]، فلم يكن متاحا حتى

---

[19] نفسه، ص 197.

[20] حامد طاهر، المرجع السابق، ص 615-616.

[21] التوراة، سفر التثنية، الإصحاح 31.

لملوكهم الاطلاع على نسخة التوراة كاملة ، بل هي أجزاء يعطيها الكاهن الأكبر لهم .

رابعا/ وأخيرا فإن الكهنة حفظة التوارة، قد كان فيهم ما كان في غيرهم من الكفر والفسق وعبادة الأوثان. وفي هذا يقول ابن حزم وقد كان في الكهنة الهارونيين ما كان في غيرهم ، من الكفر والفسوق وبادة الأوثان ونحن إن شاء الله تعالى نذكر طرفا يسيرا من كثير جدا من كلام أخبارهم ، وأنهم كانوا كذابين مستخفين بالدين، لاسيما وقد وصفهم الله تعالى بأنهم قتلوا الأنبياء، وأخذوا الرشاوى، وفعلوا المنكرات والنتجية المنطقية هي : أن من كانت هذه صفته، كيف يؤمن على التوراة؟ وكيف لا يقوم بتغيير ما انفراد به، كيف لا يتلاعب بنصوص التوراة؟[22]

وفي نهاية المطاف ذكر ابن حزم النتيجة التي توصل إليها فقال:"هذه كلها براهين أضواء من الشمس على صحة تبديل توراتهم وتحريفها"[23].

7. 2. النقد الداخلي (النص): هو ما يتعلق بامتحان النص من داخله، ببيان التناقض أو عدمه للحقائق العلمية والوقائع التاريخية والجغرافيا. لإثبات صحة الوثيقة، وقد اعتمد ابن حزم في بيان التناقض على أسس عقلية واضحة، فهو يقرأ النصوص بإمعان، ويقارن بينها في صبر ثم يستخرج النتيجة التي تثبت اضطراب النص الذي يقوم بفحصه، وفيما يلي بيان لمواقع التحريف النصي في التوراة.

أولا: **الفقرات اللامعقولة المنسوبة إلى الله وأنبيائه كذبا:** قد أثبت ابن حزم في التوراة عدد لا بأس به من الفقرات التي تتنافى والعقل، والمنسوبة إلى الله سبحانه

[22] سعد عبد السلام، المرجع السابق، ص5.

[23] ابن حزم، الفصل، ج1، ص 301.

وتعالى أو أنبيائه عليهم السلام، وهي تتجاوز الثلاثين مرة ولذلك اقتصرنا على أهمها:

*- أن الله تعالى قال [وقال الرب الإله هذا آدم قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر، والآن كي لا يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل يحيا إلى الأبد، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها][24]، ويقول ابن حزم حكايتهم هذه عن الله تعالى أنه قال لآدم قد صار كواحد منا مصيبة من مصائب الدهر، أي أنه أصبح مثل الذي خلقه، فعند أكله من شجرة الحياة صار إلها من جملة الآلهة، فهذا عند ابن حزم، يعتبر كفرا منسوبا إلى الله سبحانه وتعالى[25].

بالإضافة إلى ادعاء التوراة أن لله أولاد واتخذوا نساء، فقالوا:[فلما ابتدأ الناس يكثرون على ظهر الأرض، وولد لهم البنات، فلما رأى أولاد الله بنات أدم أنهن حسان اتخذوا منهن نساء][26]. ويقول ابن حزم وهذا حمق ناهيك به، وكذب عظيم، إذ جعل لله أولاد ينكحون بنات آدم، وهذه مصاهرة تعالى الله عنها، حتى أن بعض أسلافهم قال: (إنما قصدوا بذلك الملائكة)، وهذه كذبة إلا أنها دون الكذبة الأولى في ظاهر اللفظ[27].

وقولهم في النبي إبراهيم عليه السلام [وقال له أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها، فقال أيها السيد الرب بماذا أعلم أني أرثها][28]، يقول ابن حزم هذا مستحيل، فكيف يطلب إبراهيم عليه السلام، من ربه هذا الطلب، فهذا كلام من لم يثق بخبر الله عز وجل، وهذا الكلام المذكور في

---

[24] التوراة، سفر التكوين، الإصحاح الثالث، 22-23.

[25] بشير الكردوسي، **المدرسة الحزمية النقدية التاريخية والدراسات اليهودية** ، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، عدد 32 سبتمبر 2009، ص386.

[26] التوراة، سفر التكوين، الإصحاح 6/ 1-4

[27] ابن حزم، الفصل، ج1، ص 208.

[28] سفر التكوين، الإصحاح 15/ 7 و 8.

التوراة نسبته كاذبة لإبراهيم عليه السلام، لأنه كلام شاك يطلب برهانا يعرف به صحة وعد ربه[29].

ويورد ابن حزم معارضة أخرى لا يتطرق الشك في ظهور شناعتها وهي: عندما علمت سارة بأنها سيكون لها ابن، وهي في حال لا تلد أمثالها من النساء، ضحكت في نفسها، وقال الله تعالى: إن سارة ضحكت، وقالت: سارة: لم أضحك، فقال الله: بلى لقد ضحكت. فيقول ابن حزم أن هذه مراجعة للخصوم، وتعارض الأكفاء، حاشا لسارة الفاضلة المنبأة من الله عز وجل بالبشارة، من أن تُكذب الله عز وجل فيما يقول، وتكذب هي في ذلك، فتجحد ما فعلت، فتجمع بين سيئتين أحدهما كبيرة من الكبائر، ألم يعلم اليهود أن الله قد نزه الصالحين عنها، فكيف الأنبياء، والثانية أدهى وأمر، وهي التي لا يفعلها مؤمن ولو كان أفسق أهل الأرض لأنها كفر[30].

وما هو أكثر صراحة من ذلك كله: [أن الله تعالى تبدَّى ليعقوب على هيئة إنسان قوى ظل يصارعه حتى الصباح، دون أن ينتصر عليه][31] ، ويقول ابن حزم: ولقد ضربت بهذا الفصل وحده المتعرضين منهم (أي من اليهود) للجدال في كل محفل[32].

ثانيا: كلام يتنافى مع طبيعة الأنبياء وصفاتهم وعصمتهم: فكتابهم مليء بالقبائح المنسوبة للأنبياء، وكلما طالعنا قصة نبي من الأنبياء، نجد أنه يرتكب الكبائر ويقترف الفواحش ويوصف برذائل الأخلاق، من زنى وكذب وغش وخمر وغير ذلك مما يتنزه عنه كرام الخلق، ولا يخطر ببال القارئ وهو يقرأ هذا الكلام –

---

[29] ابن حزم، الفصل، ج1، ص 212.

[30] حامد طاهر، المرجع السابق، ص 623-624.

[31] التوراة، سفر التكوين، الإصحاح 32/ 24.

[32] ابن حزم، الفصل، ج1، ص 148.

إن لم ينبه- أنه يقرأ سيرة نبي وفي الكتاب المقدس؛ بل يخيل إليه أنه يقرأ في التراث الشعبي سيرة رجل ماجن يعاقر الخمر، ويفعل الفواحش كما هو شأن أهل الفسق والمجون، بل الأعجب من ذلك أن هناك من يدافع عن تلك القبائح ويحسِّنها لاعتبارات عقلية أو تاريخية، وهو نوع من المكابرة؛ لذلك يشتد ابن حزم في نقده وتظهر حدته في وصف مؤلف التوراة بأشدِّ الأوصاف، ومع ذلك لا يبلغ في وصفه وصفَهم للأنبياء والأصفياء، فيقول: " صانع ذلك الكتاب الملعون المكذوب، ويدَّعون أنه توراة موسى عليه السلام، إنَّما كان زنديقا مستخفا بالباري تعالى ورسله وكتبه وحاشا لموسى عليه السلام "[33]، ويستخلص ذلك من خلال أمثلة كثيرة وقصص قبيحة نسبت للأنبياء منها:

* – أن هارون الذي جمع بني إسرائيل أثناء فترة غياب موسى، فأخذ حليهم الذهبية وصنع منها عجلا، وقال هذا إلهكم، يا بني إسرائيل الذي أخرجكم من مصر[34]. كما نسبوا إلى النبي سليمان عليه السلام أنه قرب القرابين للأوثان على الكدى، وأنه قتل يوؤاب بن صوريا وهو نبي مثله[35].

*- كما ورد أكثر من مرة كلاما خاصا بسجود الأنبياء للملائكة، وتعبدهم لها، حيث وقع ذلك من إبراهيم ولوط عليهما السلام، ويقول ابن حزم فإن الأنبياء لا يسجدون لغير الله تعالى، ولا يتعبدون لسواه[36].

*- وما هو أفحش من ذلك يتمثل في ما ذكرته التوراة أنَّ لوطا عليه السلام زنى بابنتيه الكبرى والصغرى[37]، وأن نبي الله تعالى يعقوب تزوج امرأة فدُسَّت إليه غيرها[38]، وداود عليه السلام زنى بامرأة أوريَّا الحثّي، رجل من جنده[39].

---

[33] نفسه، ص 155.

[34] نفسه، ص 131-132.

[35] نفسه، ص 284.

[36] نفسه، 130- 132.

[37] التوراة، سفر التكوين، الإصحاح 19/ 30-37.

ثالثا: تناقض الفقرات فيما بعضها البعض: تذكر التوراة في فقرة من فقراته أن الله تعالى قرر أعمار البشر بمائة وعشرين سنة، بعد هذا القول: ترد أسماء كثير من الأنبياء والأشخاص الذين عاش بعضهم 600 سنة و465 سنة، و433 سنة، و464 سنة[40].

كما ورد في التوراة أن الرب قال ليعقوب: [لست تدعى من اليوم يعقوب لكن إسرائيل][41]، ثم في السفر الثاني من توراتهم قال الرب وقل لآل يعقوب وعرف بني إسرائيل، فقد سماه بعد ذلك يعقوب[42].

رابعا: أقوال أحدها يكذب الآخر: ومما ورد في التوراة : [وبعد ذلك ذمر قيام مريم وهارون آخي موسى عليه السلام معاندين لموسى من أجل امرأته الحبشية] ويقول ابن حزم وكيف تكون حبشية؟ وقد قال في أول توراتهم أنها بنت يثرون الميداني، وهو بلا شك من ولد مدين بن إبراهيم عليه السلام، فأحد القولين يكذب الآخر.

خامسا: أسفار أولها يكذب آخرها: منها ما ورد في سفر التكوين: عن قصة الطوفان: [واستقر الفلك في الشهر السابع، في اليوم السابع عشر من الشهر على جبل آراراط، وكانت المياه تنقص نقصا متواليا إلى الشهر العاشر، وفي العاشر في أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال][43] ، وفي هذا اختلاف واضح، لأنه إذا ظهرت رؤوس الجبال في الشهر العاشر، فكيف تكون سفينة نوح عليه السلام قد

---

[38] التوراة، سفر التكوين 29 / 21-23.

[39] التوراة، سفر صموئيل الثاني، الإصحاح 11/ 2- 16.

[40] ابن حزم، الفصل، ج1، ص 122.

[41] التوراة، سفر التكوين، الإصحاح 32/ 28.

[42] ابن حزم، الفصل، ج1، ص 234.

[43] التوراة، سفر التكوين، الإصحاح الثامن/ 4-5.

استقرت على جبال آراراط (أرمينيا) في الشهر السابع، أي قبل شهرين ونصف من ظهور رؤوس الجبال؟!!

سادسا: كلام يثبت قطعا أن الذي كتب التوراة ليس موسى: منها ما ورد في التوراة [فتوفي موسى عبد الله، بذلك الموضع في أرض مؤاب، ولم يعرف آدمي موضع قبره إلى اليوم]، ويقول ابن حزم في هذا الكلام " إذا كان هذا آخر توراتهم وتمامها، فهذا الفصل شاهد عدل، وبرهان تام ودليل قاطع وحجة صادقة في أن توراتهم مبدلة، وأنها تاريخ مؤلف، وكتبه لهم من تخرص بجهله أو تعمد بفكره، وأنها غير منزلة من الله، إذ لا يمكن أن يكون هذا الفصل منزلا على موسى في حياته[44].

لقد كانت هذه الأخطاء وأمثالها كافية لابن حزم، لكي يعلن أن التوراة التي تشتمل على هذه الأخطاء والافتراءات على الله والأنبياء، وهذا الخلط لا يمكن أن يوثق بنصها، فقد يقتنع يقينا كل من له أدنى فهم، أنها ليست من عند الله، ولا من إخبار نبي، ولا من تأليف عالم يتقي الكذب، بل هو عمل نصاب كذاب، جاهل غشاش، ليس له مستوى علمي. وقد عبر ابن حزم عن فزعه من هذه الأكاذيب والافتراءات اليهودية خاصة في حالات التشبيه، أو الاستحالات اللاهوتية، أو صفات لا تليق نسبتها إلى الأنبياء، وكان في كل مرة يثور فيصف كاتب التوراة بأوصاف تعبر عن غضبه، فيصفه بالفاسق والجاهل. والذنديق المستخف الذي لا يبالي بما أتى من كذب، وهذه الشدة لها ما يبررها، وذلك عندما يجد أن الكلام تجاوز حدود الأدب مع الله تعالى، وتجاوز حدود العصمة مع الأنبياء والصالحين.

[44] ابن حزم، الفصل، ح1، ص 248-285.

8. النتائـــج:

1/ ولما كان قول الله تعالى سورة النساء: ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ﴾[45]. وهي القاعدة التي عمل بها ابن حزم، بأن وجود اختلافات في كتاب مقدس ينفي تماما عنه القدسية، لأن كلام الله لا تناقض فيه، هذه بديهية عقلية ودينية، وقد اتفق معها الكتاب المقدس، وارتضى أن تكون هذه القاعدة هي الحكم على صدقه أو عدمه.

2/ انتهى ابن حزم من دراسته بنتائج قامت على أساسها مدارس نقدية في الغرب، من أهمها أن التوراة الحالية ليست هي التوراة التي أوحاها الله تعالى على موسى عليه السلام، إنما كتبها عزرا لهم. وهو ما يؤكد دوره الريادي في علم مقارنة الأديان، وأن التناقضات التي أثبت العلم الحديث وجودها في التوراة والإنجيل، قد سبق بها ابن حزم وأوردها في كتابه منذ القرن الرابع الهجري قبل أن يهتدي إليها العلماء المحدثين.

3/ ولا يمكن القول أننا بالغنا إذا قلنا أن علماء المسلمين، بدءا من المفسرين إلى أقطاب علوم الكلام والفلسفة، كلهم كانوا أساتذة ليهود الأندلس في باب النظر في النصوص الدينية بعين العقل، وبالأدوات اللغوية والبلاغية والأصولية، ويمكن القول إن شخصيات يهودية بوزن ابن ميمون أعادت النظر في فهم النصوص الدينية نظرا لتأثرهم بمناهج علماء الكلام في الأندلس.

:

[45] سورة النساء، الآية 82.